أصوات للراحلين

علاء الدين عبد المولى

صوت ـ ١ ـ

عيونُ الطّريق تُراقبُ ما يرسمُ الرّاحلونَ
هنا.. شاسعٌ ما هنا،
والطّريق اكتفى بالدّموعِ..
«خذوا معكم دربنا أيّها الرّاحلون،
ارفعوا شرفةَ النّجمِ حتّى تُضاءَ المنازلُ في جرحنا...
نحنُ: ما نسي اللّيلُ من سهرٍ
وما قتل الصّيفُ من ثمرٍ
لنا هيئةٌ سُرقَتْ حين غادَرَنا شكلُنا
نفتّش عمّا افتقدناه بين الطّيورِ
وبين ثلوج الحناجر،
يا راحلين إلى قمرٍ نائمٍ،!
هل لنا عندكم زمنٌ؟
هل لنا.. وطنٌ...؟

صوت ـ ٢ ـ

ارْتَدَيْنَا السَّفَرْ
معطفاً لا يردّ المَطَرْ
عن قناديل أحزاننا،
كيف نرسم أرضاً لأشجاركم
حين يسقطُ قبل الربيع الشجرْ؟
هل نؤذّنُ في الأفق، والأفق مئذنةٌ من حَجَرْ؟
تتجمّعُ في البئر أحلامُنا
أيّ ـ سيّارةٍ ـ تنضح الماءَ؟
«يعقوب» علّق أحلامه بالغبار
و«يوسف» يحفرُ في البئرِ «بئراً»
ليشتعل الضّوءُ،
لكنّه الخوفُ يمسحُ وجه النّهار.

صوت ـ ٣ ـ

... وسيروا على شَفْرة الوقتِ،
هذا الزمانُ عليكم
ولن تملكوا الوقت حين تنامون في الكهف
طيروا إلى خارج الأرض
هذا التّرابُ عليكم
ولن ترفعوا وطناً والهواء يُلوّثُ بالخوف
يا... يا رحيل المواكب أدْمَيْتَنَا..
خذ هياكلنا هيكلاً
هيكلاً
علّه يتفتّت هذا الحِصارْ

صوت ـ ٤ ـ

هو الوقت: أغنيةٌ لحنها أجوفٌ رقصُها أجوفٌ
هي الأرض: ينسجها الوقتُ
جئنا إلى الأرض من رحمٍ تستديرُ على نفسها
بحثنا عن الرّوح، جوّفَنَا البحثُ،
يا ريحُ.. يا صعقة اللحظات خذينا
لنسألَ عن نسغنا،
عن بداياتنا الزّائلهْ
خذينا لنحفر في الشّمس جدرانَها،
ونسرقَ من نارها شعلةً...
من سنابلها سنبلهْ
نجيء إلى الكونِ شعباً من الأغنياتِ
فكيف تشرّدنا القافله؟
وهل سنصدّق أنّا احترقنا لينهض منّا فضاءٌ
تفيضُ الكواكبُ في خمره الثّملهْ؟
نصدّقُ؟
ها نحنُ ننهار في عبث المرحلهْ.

صوت ـ ٥ ـ

لنا فرح الخيلِ واللّيلِ ، !
تَمرٌ وصهوةُ حبٍّ إلى الشمّس!
تِبرٌ وعزّةُ نفسٍ ! . .)
. . . . . .
و. . . بَعْدك يا صعقة الروح، نسألُ أجوبةَ السّالفين،
أنكملُ رحلتنا في جوابٍ مُعَدٍّ لمقتلنا؟
كيف «تبتسم الخيلُ»؟
كيف يقوم الصباح على شاهدات القبورِ؟
سؤالٌ على شفةٍ يابسهْ
جوابٌ كأغنيةٍ تنتقيها عجوزٌ تغنّي:
«مدنٌ للخواءْ
زمنٌ من دماءْ»

صوت ـ ٦ ـ

لَهُمْ يَدُهُمْ لا تغطي فضاءً صغيراً
وكان الفضاءُ يُعدُّ اتّجاهاتِهِ للرّحيلِ الموزّع،
أيّتها اليَدُ، يا نكبةَ الجسمِ ، للزّرع أسرارُه
وللسرِّ أنوارُه ـ احترقي ليُضاء المكانُ
وتمشي إلى العشب مثقلةً بالحنين
ويمشي إليكِ بآلهةٍ تُستَثارُ الخصوبةُ فيها. . .

وقولي لمن يسأل الشّجَر: «الشجَرُ الآن مختمرٌ بين نسغٍ ونسغٍ»
وقولي لمن يقطفون الثمَرْ
حين يهوي الشّجَرْ
إنهم أمّةٌ تُحتضَرْ!

صوت ـ ٧ ـ

و. . نطلب فتحِ الفضاء الذي أغلقته الجُثَثْ
ليتّضح الغامضُ المختفي
و. . نطلبُ أن تبزغ القطرةُ المنتقاةُ من الجرحِ
ثم. . تلملم كل الدماء من الأرصفَةْ
فنرفع مملكة الأرغفةْ
و. . نطلبُ ما يطلب البحرُ من مرفأ
وما تطلب الأغنيات إذا عُلّقت في هواءِ المنافي
. . . . . .
إلينا إلينا
لتطلب ما تطلب الذّاتُ من أفقٍ ترتقي آخرَهْ
لتبلغ أوّلها،
وتأخذ من ضلع عاصفةٍ شكلها،
إلينا إلينا لنرحل عن ظلنا
ونؤسّس من ذاتنا ذاكرهْ

حمص ـ سوريا

صدر حديثاً

تتزوّج دورونتين بشاب من بلاد نائية، عكس الأعراف ورغم إرادة الأهل، باستثناء أخيها قسطنطين الذي أقسم بشرفه «البيسا» أن يعيد دورونتين إلى والدتها كلّما حنّت إليها. ويشاء القدر أن يُقتل أخوة دورونتين التسعة إثر معركة خاضوها ضد الغزاة. ويطوي الردى قسطنطين صاحب القسم.

وبعد ثلاث سنوات على زفاف دورونتين تعود ذات ليلة إلى بيت أهلها برفقة فارس قالت إنه أخوها قسطنطين!

أيكون الفارس الذي أعادها هو قسطنطين نفسه المزحزح قبره والقائم إلى قسمه، أم تراه زنديقاً يقصد زرع الشقاق والبلبلة في صفوف المؤمنين؟

«من أعاد دورونتين» هي بهذا المعنى رواية الأسئلة، ومغزل الروايات التي تُحبَك بخيط سرّي واحد هو الأسطورة.